الخاتمة

كتب نسيب عريضة مرة عن نفسه فى مقدمة كتابته لعدد السائح الممتاز لسنة ١٩٢٧ : « شاعر لا يرى فى كل ما نظمه شيئاً ، وكاتب لا يرد أن يقرأ ما كتبه. هذا ما يريد أن يقوله عن نفسه ولا يود أن يزيد على ماذكر شيئاً سوى أنه لا يزال على الطريق ونصب عينه المحجة ، وسيواصل سيره إليها غير ملتفت إلى آثار أقدامه فى الرمال »[١] .

وحتى بعد عام ١٩٢٧ بكثير ، مازال نسيب « على الطريق » آملا فى الوصول إلى محجته ، يسير إلى الأمام بصبر ورغبة لا حدود لهما . لقد كان مخلصاً فى التعبير عن حيرته حين يتأمل فى مسائل الحياة والموت ، وفى ألغاز الكون ، ويشعر أنه فى بحث لا ينتهى فهو يقول :

ألا فاكتبوا فوق قبرى قضى عمره ليس يدرى
وجاء إلى العيش قسراً وأُخْرج منه بقهر[٢]

هكذا وصف نفسه ، وهكذا فهمها . ونحن بعد محاولة تحليل شعره ونثره فى الصفحات السابقة ، قد نجدنا متفقين مع الكاتب السورى عبد الكريم الأشتر فى تمييز اتجاهات ثلاثة فى شخصية نسيب :

الأولى : هى اطلاعه الواسع على الثقافة العربية والأدب العربى ورجوعه الدائم إلى التراث العربى من الشعر والنثر .

الثانية : الحيرة الدائمة والشك ، والروح الصوفية الرقيقة إلى جانب طبيعته الحساسة النفاذة .

الثالثة : الحنين العميق إلى الوطن ، واستعادة الذكريات الحلوة عنه ،

---

(١) « السائح الممتاز » لعام ١٩٢٧ ص ٥ .
(٢) « السائح الممتاز » لعام ١٩٢٧ ص ٦٠ .

والتعبير عن أمنية واحدة لا ثانى لها ؛ هى العودة إلى حمص ؛ إن لم يكن حيًّا ، فملفوفاً فى أكفانه[١] إنه يعرِّف نفسه الممزقة دائماً بقوله :

أنا المهاجر ذو نفسين ، واحدةٌ تسير سيرى وأخرى رهن أوطانى[٢]

وفى ختام بحثنا نلاحظ أنه بالنسبة لنسيب عريضة الشاعر الحائر المتشائم لم يكن هناك مكان للمرأة والحب . وفى مجموعته الشعرية الضخمة التى حواها ديوانه ، نعثر على أبيات قليلة جداً تتحدث عن الجانب المرح من الحياة ، فى قصيدته التى عنوانها « تعالَىْ صباحاً » يتحدث إلى محبوبته بنغمة حزينة متشائمة . إنه لا يصدق أنها ستأتى لملاقاته ، ويتخيل أنه سيموت قبل وصولها وهو دائماً يرى الحب فى حلم ، والحسان المحبوبات هن جنيات يظهرن فجأة ثم يختفين . وحبه ليس سعيداً ، فهو يرى المآسى قبل وقوعها . وهذا واضح فى مقطوعته التى بعنوان « عُدْ يا قلب عُدْ » . ينوح على قلبه ، رغم علمه أن بكاءه لن يرجعه له . ومن الواضح أنه يستعيد ذكرى حب مفقود . ولا نعلم هل حدث هذا الحب فى أمريكا أم فى موطنه الأول .

كتب الشاعر الإنجليزى بايرون فى إحدى رواياته :

"It was evident that he was a prey to some cureless disquiet;but whether it arose from ambition, love, remorse, grief, from one or all of thove, or merely from a morbid temperament akin to disease,I could not discover,"

« كان من الواضح أنه كان فريسة لحالة من الانزعاج الذى لا يعالج ، ولكن هل نبع هذا من الطموح ، أو الحب ، أو تأنيب الضمير ، أو الحزن من أحد هذه الأشياء أو كلها ، أو لمجرد مزاجه العليل الذى يقرب من المرض ، لم أستطع أن أكتشف » .

وبتطبيق كلمات بايرون هذه على نسيب عريضة ، لا أجد ما أضيفه سوى أنى آمل أن يجد القارئ فى هذا الكتاب محاولة ناجحة نحو فهم تلك الظروف التى أحاطت بحياة نسيب ولوّنت أعماله .

(١) عبد الكريم الأشتر : النثر المهجرى ج ١ ص ٥٣ .
(٢) الأرواح الحائرة ص ٢٤٥ .